تقرير

خليل حرب
Khalilharb66@gmail.com

إعادة تأسيس لما بعد "روزفلت - الملك عبدالعزيز" إنطلاق إقليمي للحقبة الترامبيّة

وحدها الايام ستكشف حصيلة كاملة للخطوة الجيوسياسية للرئيس الاميركي دونالد ترامب في السعودية وقطر والامارات، وطبيعة تداعياتها، بما في ذلك الفتور- ولن نقول العداء - بازاء رئيس الوزراء الاسرائيلي بنيامين نتنياهو، وحقيقة معادلة ترامب "سوريا بدلا من غزة" والتمهيد لاتفاقه مع الايرانيين، بعد خروجه المباغت من المواجهة مع "انصار الله" في صنعاء

صحيح ان الاستثمارات المعلنة في الرياض والدوحة وابوظبي، طغت على عناوين الاهتمامات الاقليمية والدولية، خصوصا ان الصفقات المبرمة تخطت قيمتها 3 تريليون دولار، وهي اموال لم يسبق ان حصل عليها اي رئيس اميركي في السابق، في غضون اقل من 4 ايام، ومن 3 عواصم عربية، فرشت له السجاد الاحمر بمراسم استقبال تليق بالملوك. لكن شكل المنطقة ومساحات النفوذ والادوار فيها مرشحة للتغير بعد جولة ترامب، بما يتيح اطلاق تسمية "الحقبة الترامبية" عليها.

بالتاكيد لم تكن هذه مجرد زيارات عابرة، وهي الجولة الخارجية الرسمية الاولى لترامب منذ عودته الى البيت الابيض، وقد عززت ترابط علاقات الولايات المتحدة مع العواصم العربية الثلاث، سياسيا وامنيا وعسكريا واقتصاديا وتكنولوجيا، واظهرت ان الرئيس الاميركي كان مستعدا للكثير من الغزل السياسي تجاه الرياض وولي العهد السعودي الامير محمد بن سلمان، والدوحة وامير قطر الشيخ حمد بن تميم ال ثاني، وابوظبي والرئيس الامارات الشيخ محمد بن زايد ال نهيان، في مقابل صفقات الاستثمار التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ علاقات واشنطن مع دول عربية.

شكلت جولة ترامب بين 13 و16 نيسان 2025، تذكيرا باللقاء التاريخي الذي جمع الرئيس الاميركي فرانكلين روزفلت والملك السعودي عبدالعزيز آل سعود، قبل 80 عاما، والذي كان الاول من نوعه، مؤسسا لتحالف طويل، بينما تصرف ترامب كأنه يعيد اطلاق مسار العلاقات لمرحلة جديدة، تناغما مع شخصيته ورغبته في ان يكون رئيسا يخلف ارثا تاريخيا.

كما يقول مراقبون فانه كان من الواضح ان جولة ترامب عكست تباعدا قبل نظيره في العلاقات بين واشنطن وتل ابيب. اولا لان الرئيس الاميركي تجنب زيارة بنيامين نتنياهو، على الرغم من ان رئيس الوزراء الاسرائيلي كان الزائر الاجنبي الاول الذي يزور البيت الابيض بعدما استقر ترامب فيه للمرة الثانية. وكان في امكان ترامب ان يحط في تل ابيب ولو لساعتين في اثناء قدومه الى المنطقة، او بعد انتهاء زيارته الى العواصم العربية الثلاثة، لكنه لم يفعل، برغم ان التقارير الاسرائيلية تحدثت عن ان السلطات الاسرائيلية ظلت تحاول تحت اللحظات الاخيرة قبل مغادرة ترامب واشنطن، اقناع البيت الابيض، بوضع تل ابيب على جدول زيارته الاقليمية.

لم تحدث هذه الزيارة، وهو امتناع اميركي تزامن مع تكاثر التقارير الاميركية والاسرائيلية التي تحدثت عن فتور بين

صفقات تخطت 3 تريليون دولار وترامب عبر بكثير من الغزل السياسي

ترامب ونتنياهو، وربما ما هو اكثر من ذلك، ذلك ان الرئيس الاميركي كان مصمما على اصباغ جولته الخليجية بهالة من العظمة والانجاز، وهم لو يخف سرا عندما قال قبل ايام قليلة من بداية جولته، انه يامل ويتوقع الاتفاق على وقف لاطلاق النار في غزة، بينما كانت القناعة بين المسؤولين الاميركيين تتزايد، بان نتنياهو لا يتعاون بما يكفي، ويتعمد عرقلة جهود الوسيط الاميركي ويتكوف التي تجري برعاية قطرية - مصرية مباشرة.

كان من اللافت ان ترامب، بينما كان يقوم بجولته الخليجية، اسقط الاشارة الى نتنياهو تماما، بل انه تجنب التسبب باي احراج لمضيفيه من الزعماء الخليجيين، وخصوصا الامير محمد بن سلمان فيما يتعلق بمسيرة "الاتفاقات الابراهيمية" التي ظل الاميركيون حتى وقت قريب يراهنون على ان الرياض ستنضم اليها، في مقابل توقيع اتفاقات امنية وعسكرية كبرى مع الولايات المتحدة.

لكن سلوك ترامب وتصريحاته في الرياض خصوصا، اظهرت ان الرجل تخطى هذا الشرط، ومضى قدما في لابرام الاتفاقات من دون محاولة اجبار السعودية على الانضمام الى "الاتفاقات الابراهيمية"، بل انه حتى عندما الح الى عملية السلام مع اسرائيل، حرص على القول انه يتفهم موقف المملكة حتى الان ويأمل في ان تنضم الى هذه الاتفاقات وفق التوقيت الملائم.

وقد تعمد ترامب ايضا عدم التطرق الى حرب غزة بشكل مكثف، ولم ينتقد في الوقت نفسه السلوك الاسرائيلي بشكل كبير، محاولا بذلك الاحتفاظ بهيبة مشاهد الحفاوة التي لقيها في العواصم الخليجية الثلاث، وابراز الصورة الناجحة لجولته، وتناغمه وعلاقته الوثيقة مع الزعماء الثلاثة بن سلمان وتميم وبن زايد.

لكن غزة ونتنياهو حضرا بشكل اكبر خلال تصريحاته لوسائل اعلامية فيما بين محطات جولته، حيث قال في احدى تصريحاته ان "احد القادة العظماء في الخليج قال لي ارجوك ساعد الشعب الفلسطيني لانهم يتضورون جوعا، وقلت له اننا بدأنا في العمل على مساعدة الناس في غزة".

بدا الاستياء الاسرائيلي واضحا من جولة ترامب ومن تصريحاته ومواقفه خصوصا حول اليمن وايران وغزة، وحتى استعداده للموافقة على صفقات تسلح مع الخليج، قد تشكل مساسا بالتفوق العسكري الاسرائيلي خصوصا فيما يتعلق بسلاح الجو. على سبيل المثال، قال وزير التعاون الاقليمي الاسرائيلي دافيد امسالم منتقدا ان "ترامب يتقلب كثيرا حسب المزاج والطقس، ويجب ان نأخذ ذلك في الحسبان".

لكن ربما كان التعبير الاوضح عن الاستياء الاسرائيلي انه بالتزامن مع وصول ترامب الى السعودية كان نتنياهو يعلن متجاهلا رغبة البيت الابيض في اضفاء ولو شكل من الهدوء غزاويا، "اننا سندخل بكل قوة من اجل استكمال هزيمة حماس في الايام المقبلة، وانه حتى لو قررت حماس تسليم مخطوفين (اسرى)، فاننا سنتسلمهم ثم نستكمل العملية، ولن يكون هناك وضع نوقف فيه الحرب ولكننا قد نتوصل الى وقف اطلاق نار لوقت محدد ثم نستأنف (الهجوم) حتى النهاية". ولكي يزيد الطين بلة، قال نتنياهو حول تهجير سكان غزة ان "المشكلة هي بعدم وجود دول تستقبلهم وما اعرفه ان نحو 50% من اهل غزة سيخرجون".

◄

ربما لانه يدرك دلالات اغفال قضية غزة وتاثيرها على صورة نجاح جولته، قال ترامب وهو يغادر الامارات، المحطة الاخيرة في جولته، وكانه يرفع العتب عن نفسه، "اننا ننظر في امر غزة، وسنعمل على حل المسالة. الكثير من الناس يتضورون جوعا. هناك الكثير من الامور السيئة التي تحدث"، مضيفا "علينا مساعدة الفلسطينيين ايضا. كما تعلمون، يعاني الكثير من الناس من الجوع في غزة، لذا علينا ان ننظر الى كلا الجانبين".

مع ذلك، فان نتنياهو كان قد اطلق ايدي الجيش الاسرائيلي بشكل لافت خلال جولة ترامب، وتقدر مصادر طبية ان المئات من الفلسطينيين قتلوا خلال الايام الاربعة التي كان الرئيس الاميركي يمضيها في المنطقة.

> **اعادة اطلاق للعلاقات مع الخليج والجولة اظهرت تباعدا مع نتنياهو**

كان نتنياهو من خلال تصعيد المقتلة الفلسطينية في غزة، يؤكد، خصوصا امام حلفائه الحكوميين من اليمين المتطرف، بانه لا يعمل تحت الضغط حت لو كان مصدر هذا الضغط هو حليف كالولايات المتحدة. كما ان نتنياهو يحاول اظهار ان خطته حول غزة ومصيرها، ليست مرتبطة لا بجولة ترامب ولا بانجازات البيت الابيض الخليجية، وان مسار القضية الفلسطينية ومصيرها، تكون بقراره هو وحده، وانه الان في مرحلة املاء شروطه لا على الفلسطينيين وحدهم، وانما على العرب، القريب منهم والبعيد.

في المقابل، هناك من يقول من المراقبين، بأن ما يجري فعليا ان هناك شكلا من "تبادل الادوار" بين نتنياهو وترامب، بما يحقق المكاسب لكلا الرجلين، وهو ما قد يكون ملائما لهما، حتى من دون الاضطرار الى ابراز تناغمهما علانية. فبينما مضى ترامب في حصد مكاسبه الخليجية، وعمق تحالفه مع الدول الثلاث، وابرز نفسه امام الجمهور الاميركي باعتباره الرئيس الذي ينجز ويحقق المكاسب للاقتصاد الاميركي، منكلا في الوقت نفسه بسلفه جو بايدن وبسياساته، مرارا، في حين ان بمقدور نتنياهو المضي قدما في خطة "التطهير العرقي" في حق الفلسطينيين، حتى لو استاء العرب، وتململ البيت الابيض قليلا، لكن على المدى البعيد سيظل في إمكانه المراهنة على متانة الانحياز الاميركي شبه الكامل لاسرائيل ومشروعها في المنطقة.

في ما يتعلق بسوريا، فقد اعتبر مراقبون ان مشهد استقبال ترامب للرئيس السوري المؤقت احمد الشرع خلال وجوده في الرياض، وبرعاية من الامير محمد بن سلمان، مثابة ما يعزز فكرة التنافر بين الرئيس الاميركي ورئيس الوزراء الاسرائيلي الذي لم يتورع عن استغلال لحظة سقوط نظام بشار الاسد، ليمعن تدميرا في مقدرات الدولة السورية بسحق قواعدها العسكرية ومخازنها من الاسلحة، بل والتوغل مئات الكيلومترات داخل الاراضي السورية، خصوصا في الجنوب السوري موسعا بذلك المنطقة التي تحتلها اسرائيل خارج هضبة الجولان السورية.

بل ان اسرائيل ذهبت الى حد الترويج لنفسها باعتبارها حامية الاقليات في سوريا وتوعدت بمهاجمة قوات سلطة الشرع، بشكل اوسع، فيما لو تمادت الانتهاكات في حق المكون الدرزي في سوريا، باعتبارهم امتدادا للدروز الموجودين في داخل دولة اسرائيل.

قرأ العديد من المحللين والخبراء الاسرائيليين لقاء ترامب مع الشرع بضيافة السعودية، بعد ساعات فقط على اعلانه نيته رفع العقوبات عن سوريا لأنها تستحق فرصة وانه قام بذلك استجابة لرغبة الامير محمد بن سلمان، على انه صفعة سياسية لإسرائيل، خصوصا ان وزراء حكومة نتنياهو توعدوا الشرع مرارا لأنه يمثل جماعة ارهابية يمكن ان تشكل تهديدا لاسرائيل وامنها. ولهذا، فان كيل المديح من جانب ترامب للشرع عندما وصفه بانه "رجل جذاب وقوي.. وله ماض قوي، وانا اعجبت به، وسنرى ما سيحدث، وقد منحناه فرصة حقيقية برفع العقوبات"، جعلت الاسرائيليين على ما يبدو يضربون اخماسا بأسداس.

مع ذلك، فان "ثمن" هذه المصافحة قد يكون كبيرا. فبعد اشادته الشخصية بالشرع، قال ترامب لقناة "سي ان ان" ان سوريا ستنضم في نهاية المطاف الى "الاتفاقات الابراهيمية، موضحا ان الرئيس السوري اجاب بنعم عندما سئل عن الانضمام الى الاتفاقيات، حيث اضاف ترامب "اعتقد ان عليهم (السوريون) تصحيح اوضاعهم اولا".

المهم، انه خلال اللقاء الذي استمر 33 دقيقة بين ترامب والشرع، وهو الاول منذ 25 عاما بين رئيسي الولايات المتحدة وسوريا، وذلك في حضور الامير بن سلمان، ومشاركة عبر الفيديو من الرئيس التركي رجب طيب اردوغان، فان الرئيس الاميركي بحسب ما اعلن البيت الابيض، طلب من الشرع الانضمام الى اتفاقيات التطبيع مع اسرائيل، ودعاه الى "ترحيل الارهابيين الفلسطينيين"، وطالبه بـ"تحمل المسؤولية" عن مراكز احتجاز تنظيم داعش في شمال شرق سوريا والتي تخضع حاليا للحراسة من جانب قوات سوريا الديمقراطية "قسد" التي تدعمها الولايات المتحدة.

وكان ترامب فاجأ العالم خلال انعقاد منتدى الاستثمار السعودي - الاميركي في الرياض، في اليوم الاول من جولته الخليجية، واعلن "سأصدر الاوامر برفع العقوبات عن سوريا.. كانت العقوبات قاسية وتسببت بشلل، لكن الآن حان وقتهم للتألق". وفي وقت لاحق، لمح ترامب الى انه لم يكن يعلم ان العقوبات على سوريا كانت بهذه الحدة.

وقد عزز التحول الترامبي المفاجئ من قضية سوريا، وتسويقه لفكرة التطبيع مع دمشق وانفتاح العالم عليها، من التكهنات القائلة بان الرئيس الاميركي المروج لنفسه بانه رجل السلام لا الحروب، انما كان يقايض: فعدم نجاحه في فرض هدنة في غزة واقناع نتنياهو بها، في مقابل جائزة الترضية السورية.

رغم بعض الانتقادات القاسية ضد ايران، الا ان ترامب بدا ميالا الى تغليب فكرة التفاهم معها، ولهذا معانيه الكبيرة في اثناء وجوده في العواصم الخليجية الثلاث. وقد لمح مرارا الى مكانية تجنب ضربة عسكرية ضد ايران"، قائلا "لا يمكنها ان تمتلك سلاحا نوويا". وللتاكيد على نزعته "السلمية"، فانه خلال وجوده في الدوحة، اشاد بالشيخ تميم قائلا ان "امير قطر رجل رائع وقائد كبير، ولدينا في هذه المنطقة مواهب قيادية، وايران محظوظة جدا بأن يكون في قطر امير مثل الشيخ تميم الذي يكافح من اجل عدم توجيه ضربة لهم". ثم قال لاحقا ان هناك مسودة للاتفاق مع ايران جرى تسليمها الى طهران.